-الأسلوبية البنيوية:

ظهرت الأسلوبية البنيوية في الستينات من القرن العشرين مع اعمال كل من "رومان جاكبسون" و"تودوروف"، و"كلود بريمون"، و"رولان بارت"، و"جيرار جينيت"، و"جون كوهين" ، "وجوليا كريستيفا" و"ريفاتير" "وأن الأسلوبية البنيوية ما هي إلا امتداد متطور لمذهب "بالي" في الأسلوبية الوصفية، كما تعد أيضا امتداد لآراء "ديسوسير" الشهيرة التي قامت على التفرقة بين اللغة والكلام"[1] و ويرى أصحاب هذا الاتجاه "ريفاتير، وجاكبسون"،"أن مصدر الأسلوب يكمن في اللغة ووظائفها، إنه لا يمكن تعريفه خارج الرسالة"[2]، و أن اللغة نظام ، أي مجموعة من الإشارات تكمن قيمتها في العلاقات المتبادلة فيما بينها، وعلى هذا الأساس لا يمكن لأي عنصر من العناصر الانفصال عن بقية العناصر الأخرى، ذلك في إطار بنية لغوية متكاملة تحكمها علاقات مختلفة تعطي القيمة الأسلوبية داخل النظام.

ومن هنا يكون التحليل الأسلوبي خاضعا لتفسير العمل الفني باعتباره كائنا عضويا شعوريا فهي"تُعنى في تحليل النص الأدبي بعلاقات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص، وبالدلالات والإيحاءات التي تنمو بشكل متناغم(...) والأسلوبية البنيوية تتضمن بعدا ألسنيا قائما على علم المعاني والصرف وعلم التراكيب (...)، وتعنى الأسلوبية البنيويةبوظائف اللغة على حساب أية اعتبارات أخرى"[3].

وينطلق التحليل الأسلوبي البنيوي من وحدات بنيوية ذات مردود أسلوبي، وقد أعطى "جاكبسون" نماذج عنها مسلطا الضوء على الهيكل الذي يؤطر الخطاب ووحداته التكوينية.

ولقد أوضح "ميشال ريفاتير" مراحل القراءة الأسلوبية في النصوص، وهي :

---

[1] - إبراهيم عبد الله أحمد عبد الجواد: الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية 1994م، ص 174 .

[2] - بيير جيرو : الأسلوبية،سبق ذكره، ص 117 .

[3] - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج1، سبق ذكره، ص 86

-مرحلة الوصف: ويسميها "ريفاتير" مرحلة اكتشاف الظواهر وتعيينها، وتسمح للقارئ بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص والبنية النموذج القائمة في حسه اللغوي مقام المرجع، فيدرك التجاوزات والمجازات وصنوف الصياغة .

- مرحلة التأويل والتعبير: وتأتي تابعة للمرحلة الأولى وعندها يتمكن القارئ من الغوص في النص والانسياق في أعطافه، وفكه على نـــحو تترابط فيه الأمور وتتداعى ويفعّل بعضها في بعض [4].

وتهدف القراءة الأسلوبية من خلال هذين المرحلتين إلى كشف المنابع الحقيقة للظاهرة الأسلوبية، ليس في اللغة بعدها نظاما مجردا فحسب، بل في علاقة عناصرها ووظائفها، ولبلوغ هذا الهدف سطرت الأسلوبية البنيوية عدة مقولات مستمدة من الحقل اللساني وهي :

-1- البنية :

هي نسيج ينشأ من تعاضد ثلاث أسس:

أ_ الشمولية:

وتعني التماسك الداخلي للوحدة، إذ هي كاملة في ذاتها خاضعة لقوانين تشكلها، وطبيعة مكوناتها الجوهرية، حيث إن كل مكون من هذه المكونات لا يجد قيمته في ظل نسيج كلي شامل مسمى الوحدة الكلية.

ب- التحول:

وهي عملية توليد تنبع من داخل النسيج، كالجملة التي يتولد عنها عدد من الجمل الجديدة.

ج- التحكم الذاتي:

---

[4] - ينظر: نفسه، ص 88 .

وهو استغناء البنية بنفسها عن غيرها، ووظيفتها تأتي من النسق البنيوي دون اعتماد عوامل خارجية[5] .

2- **اللغة والكلام:**

اقترح دوسوسير عددا من التقسيمات لدراسة اللغة دراسة وصفية، تقوم على التمييز بين ثنائيات ضدية تقابل بين :(التزامن والتعاقب)، (الدال والمدلول)، (اللغة والكلام)، "ولعل أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديد حقل الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكاملية... تتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة اللسانية إلى واقعين أو لنقل ظاهرتين وجوديتين :ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة (أو الكلام)" [6].

وقد عدّ دوسوسير اللغة نظام علامات فقال: "اللغة نظام من الإشارات"[7]، وأن الفصل بينها وبين الكلام يعني "الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، الفصل بين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي إلى درجة ما" [8].

من هنا يمكن أن نجمل أهم الفروق بين اللغة والكلام فيما يأتي:

أ-اللغة واقعة اجتماعية: أي أنها "مجموعة من العلامات المختزنة في حقل الجماعة، هذه العلامات والقواعد المختزنة في الذهن لا نطق لها، لأن محورها جمعي، وهي تشبه –كما يرى دوسوسير- القاموس الذي توجد فيه الكلمات صامتة غير منطوقة، صالحة للنطق والاستعمال"[9]، وهي بهذا يمكن أن تدرس دراسة علمية، وذلك لإمكانية إخضاع ظواهرها للتصنيفات العلمية، والوصول إلى العلاقات الداخلية لبنيتها أو شفرتها.

ب-الكلام إنجاز فردي للغة: بمعنى أنه "نشاط إنساني واقعي، وهو تحقيق فعلي حي لتلك الصورة المختزنة في ذهن الجماعة"[10] .

---

[5] - ينظر: رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، سبق ذكره، ص 37 .

[6] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط3، الدار العربية للكتاب، دت، ص 38

[7] - فرديناند دو سوسير: علم اللغة العام، دط، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: يوسف المصلي، دار الآفـــاق العربية، الأعظمية، بغداد، دت، ص 34 .

[8] - المصدر نفسه : ص 32 .

[9] - أحمد كشك: اللغة و الكلام،دط، أبحاث في التداخل والتقارب، مكتبة النهضة المصرية ، دت، ص 120 .

[10] - المرجع نفسه : ص 10 .

3 – الوظائف اللغوية الست:

هي نظرية وضعها جاكبسون والتي تغطي كل وظائف اللغة، فالقول يحدث من (مرسل) يرسل (رسالة) إلى (مرسل إليه)، ولكي يكون ذلك عمليا فإنه يحتاج غلى ثلاثة أشياء هي:

1- السياق: وهو المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول، ويكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي.
2- الشفرة: وهي الخصوصية الأسلوبية لنص الرسالة، ولابد لهذه الشفرة أن تكون متعارفة بين (المرسل) و(المرسل إليه) تعارفا كليا او على الأقل تعارفا جزئيا.
3- وسيلة اتصال: سواء حسية او نفسية للربط بين الباعث والمتلقي لتمكنها من الدخول والبقاء في (اتصال)، وهذا رسم توضيحي لهذه العناصر الستة :

سياق

رسالـــــــــــــــــة

مرسل _____ مرسل إليه

وسيـــــــــــــلة

شفـــــــــــــــــــرة

وكل قول يحدث إنما يدور في هذه المدارات الستة مهما كان نوع ذلك القول[11].

[11] - ينظر:عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب،، ط1، 1998م، ص 9 .

وأن كل عنصر من هذه العناصر يولد وظيفة، وتكون وظائف اللغة حينئذ ستة وهي كالآتي:

1- ذاتية /وجدانية (حينما يركز الخطاب على المرسل).
2- إخبارية/ نفعية (حينما يركز الخطاب على المرسل إليه).
3- مرجعية (حينما يكون التركيز على السياق).
4- تنبيهية (حينما يكون التركيز على أداة الاتصال) .
5- شعرية (حينما يكون التركيز على الرسالة نفسها).[12]

3- ثنائية العلامة اللغوية (الدال والمدلول):

إن الدال والمدلول مرتبطان ببعضهما ارتباطا قويا الأمر الذي جعل أحدهما يستدعي الآخر، أما الدال فهو الصورة السمعية ، والمدلول هو ذلك التصور الذهني يقول دي سوسير: "الإشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية وليس بين الشيء واسمه"[13] ، معنى ذلك أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية "فلفظ كلمة ما لا يمكن أن ينبئ عن معناها، كما أن معنى لكلمة ما لا يمكن أن ينبئ عن لفظها"[14]. فإذا استحضرنا كلمة "شجرة" فإن التقارب الوحيد الذي تقدمه اللغة هنا يبدو أن التصور قريب من صورة الشجرة في الواقع، أما العلاقة بين صورة الشجرة في الذهن وبين جملة التتابعات الصوتية لكلمة (ش ج ر ة) لا يمكن تعليله، وهذا يفسره اختلاف الكلمات الدالة على الشجرة من لغة لأخرى، ففي الفرنسية مثلا : Arber وفي الإنجليزية Tree .

4-ثنائية التزامن والتعاقب:

---

[12] - ينظر: عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، الدار البيضاء، ط3، 2005م، ص 66 .

[13]- فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: يوسف المصلي، دار الأفاق العربية، الأعظمية، بغداد، دط، دت، ص 85.

[14]-جون ليونز: اللغة وعلم اللغة، دار النهضة العربية، ط1، 1981م، ص 26 .

يرى دي سوسير أن اللغة يمكن أن تدرس بمنهجين: المنهج التزامني، والمنهج التعاقبي، فالأول يدرس اللغة في مرحلة معينة من الزمان بوصف حالتها الراهنة في مدة زمنية محددة، والثاني يتتبع الظواهر وما يحدث لها من تغيير في مراحل زمنية متعاقبة، وبعبارة أخرى أن المنهج التاريخي حركي تطوري يتتبع الظاهرة عبر الأزمنة المختلفة، أما المنهج الوصفي آني استقرائي. فالتعاقبية تختص بوصف المرحلة التطورية للغة في حين تختص التزامنية بوصف حالة اللغة.

ولقد وجهت إلى هذا الاتجاه عدة ملاحظات أهمها "إفراطها في الاعتناء بالشكل دون المعنى، أي الاهتمام بالبنية دون الدلالة، وهي مسألة مهمة في الأبحاث اللغوية خاصة، كما أخرجت من دائرة اهتمامها فضاء الخطاب، فحرمت الفعل الأدبي واللغوي من جانب مهم من حياته، ونعني بفضاء الخطاب كل العوامل والمؤثرات والظروف التي تساعد على فهم الخطاب الأدبي، والولوج إلى أسراره والكشف عن عمقه وجمالياته"[15]

[15] - رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، سبق ذكره، ص 41 .